المحاضرة الرابعة

كتابة التاريخ عند العرب
الفكرة والمنهج

الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري
عضو المجمع

السبت 13 شعبان 1407 هـ / 11 نيسان 1987 م

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول المسعودي: «إذ كان كل علم فمن الأخبار يستخرج، وكل حكمة منهاتستنبط، والفقه منها يستشار، والفصاحة منها تستفاد، وأصحاب القياس عليها يبنون،وأهل المقالات بها يحتجون، ومعرفة الناس منها تؤخذ، وأمثال الحكماء فيها توجد، ومكارم الأخلاق منها تقتبس وآداب سياسة الملك والحرب فمنها تلتمس»[1]

هذا الشمول الذي يعطيه المسعودي لدور ال تاريخ توازيه ظاهرة بارزة هي هذا الإنتاجالواسع في التأليف التاريخي إلى حدّ يتعذّر أن نجدَ ما يوازيه لدى أمة أخرى. فهل هونتاج ثقافي خصب فحسب، أم أنه في الواقع تعبير عن الشعور بأهمية الرسالة الإسلاميةبدور حملتها في التاريخ؟

لنلقِ نظرة إلى كتابة التاريخ ونبدأ بفرضية تفيد أن المؤرخ الآن هو من يدرّس التاريخو يكتب فيه ويُعترف به كذلك. ويمكن أن يُعَدَّ لذلك بالتعليم والتدريب والميل ، وقد تكوّن من خلال اهتماماته وانجازه دون إعداد خاص. هذا الوضع نا شئ عن التراثالتاريخي من جهة ، وعن أثر الثقافة والآراء الحديثة من جهة أخرى.

وللعرب تراث عريق في كتابة التاريخ. فقد بدأت دراسة التاريخ وكتابته منذ القرن الأوللهجرة، ومرت بفترة تكوين استمرت ثلاثة قرون أو أربعة، وضعت فيها الخطوطوالمفاهيم الأساسية في كتابة التاريخ. ولكن القرون التالية شهدت إضافات هامة.

بدأت دراسة التاريخ وكتابته وتطورت كجزء أساسي من الثقافة العربية الإسلامية.وكانت وثيقة الصلة بدراسة الحديث وروايته من جهة ، وباهتمامات العرب الأدبية من جهةأخرى. ولم يكن هناك إعداد خاص للمشتغلين في دراسة التاريخ وكتابته.

وهناك دوافع متعددة لكتابة التاريخ ، في مقدمتها دراسة السيرة النبوية ، ثم متابعة نشأةالأمة الإسلامية وتطورها، والحاجات الادارية والاجتماعية ، وضرورات دراسة الحديثوالفقه،وأخبار أعلام الأمةبدءاً بالصحابة والتابعين. ولا يخفي أن الأحداث الكبرى التيمرت بها الأمة، مثل الردة والفتوح ومشكلة الخلافة وظهور الأحزاب والحروب الأهلية ،كان لها أثرها الواضح.

ويلاحظ أن الدراسات التاريخية نشأت وتطورت ابتداءً في مراكز المعارضة السياسيةمثل العراق والحجاز ، ولذا فإنها تطلق من فكرة مسؤولية الناس، وبخاصة الحكام،عنأعمالهم، هذا في حين أن السلطة (بدءاً بالأمويين) كانت تركز على فكرة الجبر لذا فانحرية الإرادة والمسؤولية كانت هي الغالبة في كتابات المؤرخين الأولين، أما فكرة الجبر فإنها قويت فيما بعد، حين صار الحكم مطلقا.

وهناك أفكار ومفاهيم أخرى تتمثلفي كتابة التاريخ. فبعض الناس ينظرون إلى التاريخفي إطار المشيئة الإلهية. ولا يعني ذلك بالضرورة التأكيد على القضاء والقدر بل قد يكون العكس هو الصواب أي تأكيد مسؤولية البشر عن أعمالهم والاعتبار بالماضي للإفادةفيالمسيرة المقبلة.

ويعرض التاريخ أحيانا على أنه تعبير عن دور الأشراف ، وجهودهم. وربما كان أساسفكرة الشرف ابتداءً شرفُ في النسب و شرفُ العمل في الإسلام . ثم شمل التعبيرُ كُلَّ من كانله دور في الحياة العامة بجوانبها المختلفةفي المجتمع الإسلامي. والأشراف بهذاالمعنى حملوا راية الإسلام ونظموا الدولة وكانوا عماد الثقافة.

وقد يمثل التاريخ الصراع بين الفضيلة والشر. وهذا يعطي التاريخ معنى أخلاقيا ويؤكدعلى أنه ينير السبيل ويعطي معنى للقيم في الأعمال والسلوك (مسكويه).

وتقدم لنا كتابة التاريخ أحيانا تفسيرا اجتماعيا وثقافيا للمسيرة التاريخية كما حاولالمسعودي.

ثم جاء ابن خلدون (القرن الثامن / الرابع عشر) ليقدم تحليلا لقيام ونمو وانحدار المجتمعات ليفضي إلى وضع نموذج لقيام الدول وازدهارها وانهيارها.[2]

أما أسلوب الكتابة أو المنهج ، فقد ارتفع عن النهج القصصي بالتأثر بأسلوب رواية الحديث ونقده، ومن هنا تكون الأهمية الخاصة لمعرفة الرواة ومصادر المعلومات لسلسلة الإسناد، دون إغفال محتوى الرواية.

يلاحظ في المنهج أن المؤرخين الأولين كانوا ي ذكرون مصادر رواياتهم. ومع توسع المؤلفات وتعددها في القرن الثالث صار الأخذ من مؤلف سابق يقتصر أحيانا على الإشارة إلى المؤلف دون تكرار إسناده إلا في حالات الضرورة.

ويبدو أن التأكيد في الكتابة كان على الراوي أو المؤرخ لا على المكتوب ، نرى ذلك في الأخبار، وبصورة أدق وأشمل في رواية الحديث. وهذا من خصائص الثقافة العربية الإسلامية عامة، (إذ أن المهم هو الراوي أو المؤرخ قبل النص / المتن). ولم يكن يذكر اسم الكتاب في فترة التكوين بل يكتفي بذكر المؤرخ (المصدر) كما هو واضح في الطبري والبلاذري مثلا.
وفي فترات تالية تأتي الإشارة للمؤلف، وفي حالات قليلة للمؤلف والكتاب[3].

وقد يورد المؤرخ أهم مصادره التي أخذ عنها في مطلع تاريخه ، وبخاصة في الفتوات السابقة لعصر كما فعل ابن عذارى المراكشي[4]، وابن الأثير في الكامل[5]. وذهب بعض المؤرخين إلى تصدير كتبهم بقائمة فيها إشارة إلى عدد من الكتب التي تعنى بمواضيع الكتاب [6] (كما في التنوخي: الفرج بعد الشدة) وياقوت (إرشاد الأريب، معجم البلدان)[7] وقد يبدي المؤلف رأيه في بعضها.

وقد يتوسع المؤرخ في مصادر معلوماته فيأخذ من أصناف عدة ينص عليها. فالمقريزي في خططه يبين أنه سلك ثلاثة أنحاء هي «النقل من الكتب المصنفة في العلوم، والرواية عمن أدركت من مشيخة العلم وجلة الناس، والمشاهدة لما عاينته وشهور أيته»[8]. ويبين ياقوت أنه أخذ من الكتب المؤلفة قبله ومن أفواه الرواة ومن مشاهداته الشخصية[9]. وما دام التاريخ يؤخذ من رواة سابقين فان التأكيد على العدالة والثقة هو الأساس. ولكن الاهتمام بالأخبار المعاصرة أدى إلى أن يكون

للمشاهدة والعيان أهميتهافي رواية الأخبار، كما يتبين في كتاب الأوراق للصولي - فانه كما قال المسعودي «ذكر غرائب لم تقع إلى غيره وأشياء انفرد بها لأنه شاهدها بنفسه»[10]

ويثني السخاوي على الكتاب « لأ ن مؤلفه كان شاهد عيا ن للكثير من الحوادث التيأتيعلى ذكرها مصنفهذا» [11]. إلا أن المؤر خين كانوا يفيدو ن أحيانا من الوثائق المكتوبةفأوردوا الكثير من ها في مؤلفاتهم.

والتوثيق مهم في كتابة التاريخ. فهذا تاج الدين السبكي (ت 771) ينصح المؤرخينبذكر المصادر "وأن يسمي المنقول عنه". وكان المؤرخو ن يؤكدون على الأمانة والدقةفي النقل. يبين السبكي (الابن) أنه يشترط في المؤرخ الصدق، وإذا نقل يعتمد اللفظدون المعنى، وان لا يكون ذلك الذي نقله أخذه في المذاكرة وكتبه بعد ذلك» [12] كمايفترض في المؤرخ (العدالة مع ا لضبط)، فالمؤرخ إما أ ن يكون مجردا من الهوى، وهوعزيز ،وأما أن يكون عنده من العدل ما يغلب به هواه ويسلك طريق الأنصاف) [13].
ويذكر ياقوت «انه يهذب ما نقله إلى صاحبه ويحيل عليه»[14].

ويقول المقريزي في خططه (فأما النقل من رواية العلماء التي صنفوها في أنوع العلوم ،فاني أعزو كل نقل إلى الكتاب الذي نقلته منه لأخلص من عهدته وأبرأ من جري رته). أمابالنسبة للروايات عمن أدرك من المشايخ فالمقريزي يقول: "فاني في الغالب والأكثرأصرح باس م من حدثني الاّ أن لا يحتاج إلى تعيينه، أو أكون قد أنسيته وقلما يتفقذلك" [15].

وقد يضطر المؤرخ إلى الكتابة من الذاكرة. والدقة هنا توجب الإشارة. فهذا الصوليقول في ذكرياته عن الخليفة الراضي " وما حكيت من ألفاظه التي مرت وما أحكيه منكلامه بعد، فهو كما أحكيه أو شبهه أو مقارب،أن كنت لا أقدر على أن أحفظ لفظهعلى حروفه، وأن أحفظ معناه".[16]

ويلاحظ أن الروايات التاريخية تدخل في باب العلم ، وهذا حقل غير حقل الرأي، ولذافقد يورد المؤرخ ما ينكر أو ما يراه ضعيفا. يبين الطبري أنه اعتم د في ذكر الوقا ئع علىما يروي من الأخبار والآثار مسندة إلى رواتها ، وان معرفة الأخبار لا تأتي عن الإدراكبحجج العقول أو الاستنباط بفكر النفوس،الاّ اليسير القليل، ولذا فهو يورد الأخبار كمانقلت أليه، وإن يكن فيها ما يُستنكر، فذلك بسبب الرواة [17]. ولعل ياقوت تو سع أكثر في توضيح ذلك. فهو يقول: " لقد

ذكرت أشياءكثيرة تأباها العقول لبعدها عن العادات

المألوفة وتنافرها عن المشاهدات المعروفة. . وأنا م رتاب بها نا فر عنها متبرئ إلى قار يءهامن صحتها لأني كتبتها حرصا على إحراز الفوائد.. لأني نقلتها كما وجدتها، فأناصادق في إيرادها كما أوردتها لتعرف ما قيل في ذلك حقا كان أو باطلا ". ثم يبرروجهته بقوله " أن أيمة الحفاظ الذين هم القدوة في كل زمن وعليهم الاعتماد في فرا يضالشرع والسنن لم يشترط أكثرهم في مسنده أيراد الصحيح دون السقيم.. ولم يخرجهمذلك من أن يعدوا في أهل الصد ق. . إنهم أوردوا ما سعوه كما وعوه،وإنما يسمى كذابااذا وضع حديثا أو حدث عمن لم يسمع منه أو روى عمن لم يرو عنه. فأما من روى ماس مع كما سمع فهو من الصادقين والعهدة على من رواه عنه " ثم يضيف "آلا أن يكونمن أهل الاجتهاد فله أن يرويه ثم يزيغه" [18].

ويحاول الجاحظ أن يبين كيف يدرك العلم بغا يئ، ويذكر وجوها ثلاثة - فمنها سريلالعلم به الأخبار المتواترة المستفيضة في الناس ، وهذه تصدّق، أو أخبار نقلها قوم ، وهم«في تفاوت أحوالهم وتباعدهم» لا يمكن في مثله التواطؤ ، وفي هذه الحالة يمتنعالكذب. وقد يأتي الخبر عن الرجل والرجلين مما يمكن أن يصدق أو يكذب، والتقديرهنا يكون «بحسن الظن بالمخبر والثقة بعدالته»[19].

ويركز العيني (أحد الرؤوس من المؤرخين) الحال بقوله (وأما الذي يكتب التاريخ فيزماننا هذا فان كان نقله من مشاهدة وعيان وأخبار ثقات فلا بأس بذلك)[20].

ولم يكن إيراد الروايات يعني التسليم بما جاء فيها ، أو غياب النقد كما هو مفهوم ،بل إن مقاييس النقد عديدة. ويتمثل النقد في تقدير الثقة والدقة بمصا در الروايات، وفينقد الطريقة / الطرق التي جاءت بها الروايات، وفي تقييم المحتوى (المتن)، وفيتفضيل رواية والشك بأخرى، وفي الانتقاء أو الأخذ بروايات وإغفال غيرها ، وهذا يرد حتىحين يعطي المؤرخ عدة روايات عن الحدث الواحد.

كل هذا يعنى أن المؤرخ عادة يترك للقارئ الوصول للنتائج التي يراها، مكتفيا بإيرادالمعلومات، ليضع القارئ في الصورة وليتجنب الاتهام بالهوى. ولكن بعض المؤرخينحاولوا تحليل الروايات وتفسير الأحداث (كما يبدو لدى سيف في أخبار الفتنة، ولدىالمسعودي في مروجه ومسكويه في تجاربه والمقريزي في إغاثةالأمة).

وكثيرا ما قيل إن التاريخ العربي الإسلامي سجل الملوك والرؤساء، وأنه في خدمةالسلطان، وأن الشعوب أهملت. وهذا رأي يحتاج إلى إعادة نظ ر. وقد يكون أدق لو قلناإن المؤرخ ابنُ عصر ه، وأنه يُعنى بما يمثل اهتمامات العصر.

وعند النظر في أ صول التاريخ العربيالإسلاميرى أن الإخباريين، وهم المؤرخو نالأولونفي الكوفة والبصرة، عنوا بالأحداث التي تهم القبائل العراقية أكثرمما عنوا بشؤونالخلفاء.

أما أصحاب المغازي في المدينة فقد عنوا ، إضافة إلى السيرة، بشؤون الجماعةالإسلامية بالدرجة الأولى. وإلى جانب ذلك نجد كتب الطبقاء الأولى تعنى بالصحابةوالتابعين وبرواة الح ديث. (ولانسى- قبل ذلك - أن الكتابة التاريخية بدأت في صفوفالمعارضة).

وتحوى كتب الأنساب ، بما فيها أنساب الأشراف للبلاذري ، إشارات إلى من لهمذكر في الحياة العامة من شاعر أو كاتب أو داع أو قاضٍ إضافة إلى الأمراء والقادة.

وقد نشير إلى مؤرخي القرن الثالث والقرن الرابع (فترة التكوين) لنرى من ابتعد عنكل عمل حكومي (الطبري)، ومن كتب بعيدا عن السلطة (المسعودي) ، ومن عاش فيفاقة كالبلاذري وهو رغم صلته بالخلفاء خصص جل كتابه للقبائل وللأمويين، وبين من لانعرف اسمه وكتب بما لا يرضي السلطة - مثل صاحب الإمامة والسياسة ومؤلف أخبارالعباس وولده.

وقد يكون أسلوب تعاملنا مع مصادرنا هذه وراء هذه الصورة. ففي الطبري والبلاذريمثلا توسع في تاريخ الأمصار أكثر من المركز،وفيهما معلومات واسعة عن القبائل ودورها في الحياة العامة، وكلاهما يتحدث بإسهاب عن الثورات والحركات الاجتماعية. وفي البلاذري معلومات واسعة عن الحياة الاقتصادية لا تكاد تتلوى.

وبعد هذا يحسن أن نرى إطار التاريخ كما رسمه المعاصرون. فالتاريخ عند العرب لا يقتصر على الحوليات وعلى تاريخ الدول أو الأ سر الحاكمة، ذلك أن كتب التراجموالطبقات بأصنافها هي في نظرهم كتب تاريخ. وهذا واضح عند المسعودي في مروجال ذهب،إذ يقول "ولم نعرض لذكر كتب تواريخ أصحاب الحديث ومعرفة أسماء الرجال

أعصارهم وطبقاتهم. . إذ كنا قد أتينا على جميع تسمية أهل الإعصار من حملة الآثار،ونقلة السير والأخبار، وطبقات أهل العلم، من عصر الصحابة ثم من تلاهم من التابعين،وأهل كل عصر على اختلاف أنواعهم ونتائجهم في آرائهم من فقهاء أهل الأمصار وغيرهممن أهل الآراء والنحل

والمذاهب والجدل إلى سنة 332 في كتابنا. . . أخبار الزمان وفيالكتاب الأوسط .[21]

وإذا كانت البدايات في التراجم تتصل بالحديث ورواته، فان حقلها اتسع كثيرا ليشمل تراجم كل فئة أو مهنة أو علم ، مثل طبقاء الصوفية، والشافعية والحنفية والحنابلةوالقراء والفقهاء والكتاب والقضاة والأدباء والشعراء وغيرهم.

وجاءت تواريخ المدن لتعرف ابتداء بمن نزلها من محدثين (تاريخ واسط لبحشل)لتتسع فتترجم لمن أقام بها من خلفاء وأمراء وعلماء وفقهاء وأدباء ، وتجاوزت كتبالتراجم ذلك في بعض الحالات. فمثلا توسع الصفدي في تراجمه ليشمل -إضافة إلىالخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين والملوك والأمراء - القضاة والعمال والوزراء والقراء والمحدثين والفقهاء والمشايخ والعلماء والصلحاء وأرباب العرفان والأولياء والنحاة والأدباء
والكتاب والشعراء والأطباء وا لحكماء والألباء والعقلاء وأصحاب النحل والب دع والآراء واعيانكل فن اشتهر.

وتتسع كتب التراجم والأخبار لتشمل كل فئات الأمة وأصنافها. فنجد الأخبار مثلا عن"المعلمين" (الجاحظ)، وعن الأذكياء (ابن الجوزي) ، بل وأخبار فئات لا تخطر ببالمثل "أخبار الحمقى والمغفلين" (ابن الجوزي) و "أخبار البرصان والعرجان "(الجاحظ). وإذا كانت هذه الأخبار تتصل بفئة أو أخرى فانا نرى شمولا واسعا فيكتاب مثل نشوار المحاضر ة (أو جامع التواريخ) للتنوخي ليتنا ول مختلف الف ئات، مثل "الأجواد والبخلاء والأشراف والظرفاء والمت كلمين والعلماء.. وأهل الآراء والأهواء ، واللغويينوالنحاة والشهود والقضاة. . والجوا سيس والمتخبرين والوراقين والمعلمين.. والبنّاءوالم زارعين وأرباب الخراج والأرضيين وا لاكرة والفلاحين والواعظين والقصاص وأهلالصوامع والخلوات. . والأ ئمة والمؤذنين والأغبياء والمتخلفين والشطار والمتقين وقطاعالطرق والمتلصصين وأهل الجسارة والعيارين والطفيلية والمتطرحين والمغنيات والمغنينوالمفكرين والموسوسين ، والمشعبذين والمحتالين ، والأطباء والمنجمين والكحالين

والفصاديين، وأصحاب الزجر والزراقين، والمعبرين والشحاذين، وأهل المهن والصناعات.. والتجار والأغنياء. والفواضل من النساء والحرائر والإماء وسكان المدن والبدو والحضر"[22]

ومن ناحية ثانية فان حقل التاريخ يتداخل مع حقول أخرى. ففي كتب الحديث أبواب عن المغازي مثلا، وفي كتب الأدب أخبار تاريخية واسعة كما نرى في كتاب الأغاني[23]. وفي بعض كتب الفقه مواد تاريخية مهمة، بل إن أغنى المصادر عن نظام الضرائب هي في كتب الفقه والخراج.

وهذا يعني أن حقل التاريخ يتجاوز أعمال المؤرخين إلى أعمال الفقهاء والمحدثين وأصحاب تواريخ الأدب، وكل ما له وجهته وجهده، وهذا يجعل الكتابة التاريخية شاملة.

ولعل الإشارات إلى فوائد التاريخ تؤكد سعة نطاقه. فبعض الناس يؤكد على فائدة التاريخ للأصحاب السلطة والتدبير. يقول مسكويه "وكان شرطنا في أول الكتاب ألا نثبت منه الأخبار إلا ما فيه تدبير نافع في المستقبل" أو حيلة في حرب أو غيرها، ليكون معتبرا وأدبا لمن يستأنف من الأمر مثله.. ولأجل ذلك تركنا مغازي الرسول.. لأنها كلها توفيقاته.. ولا تجربة في هذا ، ولا نستفاد منه حيلة ولا تدبير بشري" [24].

وابن الأثير يرى فيه عبرة للملوك بالسيرة الماضية ومجال تجربة نتيجة المعرفة بالحوادث وعواقبها، خاصة "وانه لا يحدث أمر إلا وقد تقدم هو أو نظيره، فيزداد عقله ويصير به إنسانا يقتدي به أهلا". [25]

ولكن المسعودي بنظرته الحضارية يجعل التاريخ شاملا في اهتمامه وفائدته، فمنه يستخرج كل علم وحكمة وفي نطاقه تكون الفقه ويحرك أصحاب القياس والمقالات، وإليه تستند المعرفة ومنه تقتبس مكارم الأخلاق. وفيه أيضا تلتمس آداب سياسة الملك الحروب [26].

ويتبين شمول التاريخ بوضوح عند السخاوي، إذ إنه عظيم الخطر ظاهره المرفعة للإنسان في «أمر معاده ودينه وسريرته في اعتقاده» من جهة، وفي «ما يصلح به أمر معاملاته ومعاشه الدنيوي» من جهة أخرى. هذا إلى ما فيه من نفع في أساليب الحكم والإدارة وتدبير الجيوش بحيث يكون من عرفه كمن عاش الدهر كله وجرب الأمور

بأسرها". هذا إلى "ما يقع من ذكر ذوي المروءات الأجواد والمتصفين بالوفاء ومحاسنالأخلاق والمعروفين بالشجاعة والفروسية، وانه أيضا جم الفوائد كثير النفع لذوي الهمم العالية والقرائح الصافية" [27].

كل هذا يؤكد شمول التاريخ للناس كافة.

- كانت الفترة بين القرنين السادس عشر والثامن عشر فترة انحطاط ثقافي ضعفتفيها الكتابة التاريخية واقتصرت على تسجيل المعلومات دون فكرة تارخية ودون منهج.وجاءت في الغالب في نطاق التراجم لبلد أو أكثر ومنها ما يقتصر على قرن، إضافة إلىتواريخ أسر محلية. وان وجد تاريخ عام فهو يعطي خلاصات من مصادر سابقة. و لكنبعض التواريخ المحلية تعطي معلومات مفيدة عن فترة مؤلفيها. وتتبع هذه المؤلفات عادة
طريقة السرد وتقل فيها الإشارة إلى المصادر.

ومع بدايات التنبه الحديث تجدد الاهتمام بالكتابة التاريخية ، وبعد الاتصال بالثقافةالغربية صار للآراء والمناهج الغربية وبالتدريج أثر على كتابة التاريخ. كما تعرف الكتابعلى التراث التاريخي العربي بصورة أفضل واشمل وبدأت كتابة التاريخ الحديثة بالظهور.

ويمكن على العموم ملاحظة اتجاهين في كتابة التاريخ. اتجاه يتأثر بالدرجة الأولىبتراث الكتابة التاريخية، دون أن يوازيها (في المنهج والفكرة).

واتجاه أقرب للتأثر بالمناهج والمفاهيم الحديثة ويداخل الاتجاهات نتيجة تعرضالكتاب في التاريخ بدرجات متفاوتةلتأثير التطورات الثقافية.

لقد كان القرن الأخير هو الفترة التي بدأت فيها الكتابة الحديثة في التاريخ لتتخذبعدئذ اتجاهاتها الحالية. ومع ذلك فان الكتابة وفق الأساليب الموروثة والكتابة الحديثةلاتزال تُرى في الكتابة التاريخية.
ويلاحظ أن الكتابة التاريخية حتى الثلاثينات من هذا القرن كانت في الغالب لكتابلم يتدربوا في التاريخ، من محامين وصحفيين و عسكريين وأدباء وفقهاء. وفي نتاج البعضإغناء للكتابة التاريخية.

ويمكن القول إن كتابة التاريخ بأساليب ومناهج حديثة إنما اتضحت بعد العقود الأولى من هذا القرن.

- والتاريخ عند العرب موضوع حيٌّ ، فهو يشكل جانبًا هامًا من ثقافتهم العامة ،بمفهومها الواسع، وهو وثيق الصلة ببعض مفاهيمهم واعتقاداتهم. لذا فنظرة العرب إلىتاريخهم مهمة لفهم الكتابة التاريخية الحديثة، وهي نظرة تكونت عبر القرون.

- إن بعض الفتوات والأحداث والمواقف لا تزال حية بيننا ، وللناس مفاهيم ومشاعر قويةعن تاريخنا، وهم يعيشون بعض أحداثه وكأنها وقعت أمس.

كل هذ ه لها أثرها في توجههم وفي نواحي اهتمامهم وفي مواقفهم من بعض مشاكلهمالمعاصرة وفي أسلوب معالجة التاريخ.

هذا الوضع يمكن أن يزيد من الاهتمام بالتاريخ، ولكنه قد يوجد عقبات أمام البحثالتاريخي الجاد، وقد يؤدي إلى عدم تناول فترات أو موضوعات لها أهميتها وأثرها. وهذاقد يختلف من بلد عربي إلى آخر ومن فترة إلى أخرى حسب الأوضاع الثقافيةوالاجتماعية.

وكانت عناصر الحيوية والحركة لدى العرب في التاريخ تتمثل في الإسلام وفي نطاقالعربية، وكلاهما ينظر إلى التاريخ. وهذا واضح في مواجهة التحديات الخارجيةوالداخلية.

فتجديد اهتمامنا بالتراث والتاريخ كان وثيق الصلة بالنهضة الحديثة من ذ البدايات فيالقرن التاسع عشر إلى الآن. وكانت مشكلة التخلف وخطر التوسع الغربي سياسيا وثقافياعوامل أساسية دفعت للرجوع إلى التاريخ.

حاول بعضهم دراسة التاريخ العربي ابتداء كسبيل لتكوين الثقة بالنفس وللحفاظ علىالهوية،ولإنماء الحس الوطني والعربي ، ولبناء النهضة. وهذا قاد إلى الاهتمام بالفتواتاللامعة من التاريخ الإسلامي وبالحضارة العربية الإسلامية.

ورأى آخرون أن دراسة الماضي لازمة لفهم الحاضر، وأن جذور الأوضاع القائمة هيفي الماضي، وبالتالي فان دراسة التاريخ ضرورية لفهم المشاكل القائمة ولمعالجتهاوللإعداد لمستقبل أفضل. ولعل هذا وراء كتابات في التاريخ تحاول إظهار التطوراتالهامة ، أو دراسة فترات انحطاط كانت تهمل من قبل.

وأدّت الحفريات وحل رموز الكتابات في العصور القديمة إلى إثارة الاهتمام

بالحضارات التي قامت في البلاد العربية في القديم وإلى تنقيبات ودراسات اثارية. وتجاوز الاهتمام بتاريخ العرب القديم ما يدعى بالجاهلية (حوالي قرنين قبل الإسلام) إلى مختلف الفتوات والدول العربية قبل الإسلام. وكان للاتجاهات الإسلامية والقومية والوطنية إضافة إلى تيارات سياسية اجتماعية أخرى أثرها في كتابة التاريخ.

وإذا كان بعض المؤلفات لا ينطوي على فكرة تاريخية، فان الكثير منها تتخلله فكرة أو أخرى، فالفكرة الإسلامية، والفكرة العربية / القومية والفكرة الوطنية، تتمثل في كثير من الكتابات، وهي في توسع، كما نرى أفكارا أخرى في هذه الكتابات.

تركز الكتابة في الاتجاه الإسلامي على أن تاريخنا هو تاريخ الأمة الإسلامية ،وترى في تاريخ الإسلام محور التاريخ. والتاريخ هنا تعبير عن المشية الإلهية. يقول أحدهم "إن أية حركة تاريخية إنما هي نتاج لقاء خلاق بين الله والإنسان والطبيعة بما فيها الزمن، وإغفال أي عنصر منها إنما هو جهل بالأسس الحقيقية لحركات التاريخ"[28]. ويرى أن "الرؤية القرآنية تحيط بالماضي لكي تثقفه في قواعد وسنن تطرح أمام كل باحث في التاريخ يسعى إلى فهمه وإلى أن يرسم على ضوء هذا المنهج طرائق حياته الحاضر والمستقبلة [29].

ويرى مفكر آخر أن التاريخ ليس هو الحوادث إنما هو تفسير هذه الحوادث. ولكي يفهم الإنسان الحادثة ويفسرها ويربطها بما قبلها وبعدها فينبغي أن يكون لديه الاستعداد لإدراك مقومات النفس البشرية، روحية وفكرية وحيوية، ومقومات الحياة البشرية معنوية ومادية. (ولذا فهو يرى أن بحوث الغربيين عن الموضوعات الإسلامية - في أحسن الحالات - ناقصة لأنها ينقصها عنصر الروحية الغيبية).

ولذا فهو يرى أن العقلية التي تحكم على الحياة الإسلامية ينبغي أن تكون فيصمها إسلامية مشربة بالروح الإسلامية.

ويتدرج من هذا إلى أنه يصعب أن نتصور إمكان دراسة الحياة الإسلامية كاملة دون إدراك كامل لروح العقيدة الإسلامية، ولطبيعة فكرة الإسلام عن الكون والحياة والإنسان، ولطبيعة استجابة المسلم لتلك العقيدة.

وبالتالي فان المؤرخ يستطيع أن يميز دوافع الحياة الإسلامية في فترة تاريخية وأسباب

النصر والهزيمة فيها على ضوء إدراكه لطبيعة العقيدة الإسلامية واستجابة المسلمين لها.[30]

ولا يميز بعض الباحثين في هذا الاتجاه بين التاريخ والعقيدة، بل يرى أن غاية كتابة التاريخ ووجهته مرتبطة بغاية العقيدة الإسلامية، ولا بد للمؤرخ أن يربط عمله التاريخي بعقيدته ومنهجه [31]. ويرجع صاحب هذا الرأي إلى قواعد علم الحديث في المنهج، ويقر بأن المرونة في تطبيق قواعد الجرح والتعديل واردة [32] ولكنه لا يكتفي بذلك ويضع شروطا أخرى. فمن لوازم المنهج عنده أن "يكون المشتغل بعلم التاريخ الإسلامي وتفسير
أحداثه ذا تصور سليم وعقيدة صحيحة ودراية بعلوم الشريعة وفقهها، إضافة إلى تخصصه التاريخ"[33].

وتتخلل بعض الكتابات في الاتجاه العربي فكرة الأمة ، أي الأمة العربية، وتحاول التعرف على مسيرتها ومنجزاتها في التاريخ. فالتاريخ في رأي بعض الباحثين هو الذاكرة المشتركة للأمة (تجاربها، أعمالها، أبطالها، منجزاتها) وهو قاعدة لشعورها المشترك وخزان تستمد منه لتعطي لنفسها معنى، ولناشئتها العزة والانتماء والولاء.
ومن المتفق عليه - كما قيل - أن التاريخ العربي أساس تأكيد الهوية ، فهو يثير الحس الوطني والقومي في وجه الأخطار القائمة أو المنتظرة وهو عون للاتجاه إلى الوحدة وهو مصدر إيمان بالأمة، وكان التاريخ عاملا واضحا في الكفاح من أجل التحرر كما كان عنصرا في البناء الوطني / القومي[34].

ويلاحظ البعض أن فترات الأزمات أو الخطر في حياة الأمة - مثل الغزو الخارجي والتجزئة والغزو الاستيطاني - تدعو إلى العودة للتاريخ للبحث عن الذات بروح نقدية ، وأنها تحفز إلى إعادة النظر في دراسة التاريخ وكتابته. وقد يذهب بعضهم إلى أن المراد ليس إعادة كتابة التاريخ بل أن ينظر إليه برؤية جديدة، أو قراءة جديدة لتاريخ الأمة [35].

ويرى الكتاب في الاتجاه العربي أن الغرض الأول لدراسة التاريخ هو فهم الحاضر. ولكنه لا يقف عند ذلك، فالتاريخ أهم مقومات الشخصية ، والفهم الصحيح للتاريخ هو طريق الحل وهو يعين على بناء الأمة (36). ويرى آخرون أن دراسة تاريخ الأمة لا تقف عند فهم الحاضر بل تساعد على بيان الاتجاه المقبل، وهذه وظيفة من وظائف التاريخ [37].

إن أصحاب الاتجاهين (العربي والإسلامي) ين ظرون إلى مشاكل الحا ضر ويفكرونبمستقبل أفضل، ويرون في دراسة التاريخ العربي / الإسلامي ما يساعد على ذلك. وبينأصحاب الاتجاهين من يؤكد على الدراسة الموضوعية الجادة للتاريخ [38].

وللاتجاهات الوطنية والإقليمية أثرها في كتابة التاريخ. فالتجزئة التي تلت الحربالعالمية الأولى وظهور كيانات عربية جديدة لها الأثر الكبير في المحاولات المتزايدة لإعطاء القطر هوية تاريخية خاصة، تأكيدا لوجوده المستقل وإضفاء لشرعية تاريخية علىكيانه. وقد يظهر الاتجاه الوطني في إطار عربي فتتخلله نظرة عربية، فيبرز دور القطر فيالتاريخ العربي. وهنا يوضح أن القطر له خصائصه الأصيلة وله هويته العريقة التي حافظعليها عبر العصور ، فهو مركز عريق للحضارة، وهو عربي منذ القدم وقد حافظ علىعروبته ، واعتنق الإسلام فأغنى مفكروه وعلماؤه الإسلام والعروبة ولذا وجب إبراز مكانتهودوره في التاريخ.

وقد تكوك الطائفية، مثل الإقليمية وراء الكثير من المحا ولات لتبرير إقامة كيان ما ولإعطائه قاعدة تاريخية.
وقد يوسع الإطار في الاتجاه الإقليمي أو الطائفي للحديث عن أمة بدل شعب (الأمةاللبنانية مثلا) وعن قومية بدل وطنية، وقد يمر الانتماء (الحضاري، اللغوي،القومي) عبرالانتماء الطائفي، وقد تصبح الطائفة لا الوطن والأرض الطائفية لا الأرض الوطنية هيالنواة [39].

ثم إن الإقليمية والوطنية المحدودة أثرت في دراسة التاريخ العربي بالتركيز علىالأحداث والتطورات في بلد ما على حساب الاتجاهات والتطورات العامة.

وقد انتقد البعض هذه الكتابات التي تعزل تاريخ قطر عن نطاقه العربي ولا تُظهرالاتجاهات والعلاقات العربية ، ويرون أن إغفال الخطوط والتطورات العامة في البلاد العربيةيؤدي إلى بعض الاضطراب وإلى تقسيمات مصطنعة [40].

ويبدو أثر الماركسية فيكتابات فيالتاريخ العربيو هي-على قلتها-تتعلق بحركات اجتماعية أوبالتاريخ الاقتصادي[41]، وعلى الأكثر في مجال التاريخ الفكري والتراث [42]. ويجد

أصحاب هذه الكتابات في الماديّة التاريخية ابت داء أو في نمط الإنتاج الآسيوي أخيراالوجهة وبالتالي المنهج. ويلاحظ هنا أن الكتابة تبدأ بنظرة مسبقة تحاول إثباتها فيالتاريخ ، وتتبين بفكرة الحتمية التاريخية. هذا إضافة إلى اتخاذ بعضهم مصطلحات وقيماً من التاريخ الغربي وتطبيقها على التاريخ الإسلامي[43].

- وحصلت تطورات في أطر كتابة التاريخ العربي والإسلامي. فهناك تواريخ عامة ، على الأسر أو الفتوات التاريخية، في تاريخ العرب قبل الإسلام أو تاريخ العرب في الإسلامأو كليهما. وقد تضيف إلى التاريخ السياسي شيئاً عن الحضارة. واختفت كتابة التاريخعلى السنين.

والجديد هنا أن الفتوات التي وقع فيها غزو الإفرنج- أو الحروب الصليبية – صارتتعتبر عصرا أو فترة تاريخية، ولم تكن كذلك في مصادرنا، بل كانت تأتي في مكانها منالأحداث. و هكذا نجد كتابات عامة عنها، أو دراسة لحملة أو جانب منها. هذاالاتجاه مهدت له الكتابات الغربية وأثاره الغزو الغربي للبلاد العربية،وأخيراأقامةإسرائيل.ونظر البعض إلى المواجهة الآنية كجهاد أو حرب تحرير. ولكن يلاحظ أن جل هذهالدراسات لم تتعمق في دراسة مصادرنا بدقة وتوسع، ولم تولي الآراء التي تعطيها عن هذهالحروب ما تستحق من عناية.
وكتبت دراسات عن الأسر الحاكمة لدورها الكبير في تاريخ العرب (الأمويون ،العباسيون) أو لأهميتها في تاريخ قطر (طولونيون، أغالبة، مماليك).
ووضعت دراسات عن شخصيات بارزة في السياسية أو الفقه أو الإدارة أو الأدب،وهذا في اتجاه كتب التراجم والسير، ولكن يغلب على كثير منها اتجاه جديد في تناولبيئة الشخص والتطورات في عصر أو دوره في عصره.
واستمرت التواريخ المحلية بالمفهوم التراثي حتى القرن العشرين. وبعد الحرب العالميةالأولى اتجهت الكتابة التاريخية عن الفتوة الحديثة إلى تناول الأقطار العربية مفردة ،باستثناء دراسات عامة قليلة.

واتصلت كتابة التاريخ عن المدن بالأسلوب الموروث (طبوغرافية مع تراجم). و لكن الدراسات الحديثة اتجهت إلى تطور المدينة، وربما إلى حياة المدينة (ثقافية ،

اقتصادية، اجتماعية) إضافة إلى النشأة والطبوغرافية. واعتمدت الكتابات هنا على المصادر التاريخية والجغرافية وحدها، أو على الآثار. وكتب العرب في موضوعات أخرى غير التاريخ العربي والإسلامي، مثل التاريخ الأوروبي، والتاريخ الروماني والبيزنطي، وكذا عن بعض البلاد الآسيوية والإفريقية، وهذه حقول ترتبط بأثر الثقافة الحديثة. ففي الماضي كتب العرب عن تاريخ العرب الأخرى، ثقافتهم قبل الإسلام. نعم توجد استثناءات قليلة للكتابة عن شعوب معاصرة مثل ما كتبه البيروني عن الهند والمسعودي عن بيزنطة، ولكن هذه استثناءات تؤكد الخط العام.

مع ذلك يبقى ما ألف في هذه المجالات محدودا. ولا يمكن الحديث عن منهج عربي لكتابة التاريخ الأوروبي أو غيره.

وبعد هذا يمكن الإشارة إلى كتابة المذكرات، ويمكن اعتبارها نهجا حديثا في الكتابة التاريخية، وإذا وجد لها أثر في التراث.

يتضح إذن أن كتابة التاريخ عند العرب تتجه أساسا إلى تاريخ العرب والإسلام في الماضي والحاضر.

واتجهت الكتابة التاريخية في العقود الأخيرة إلى دراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي. فقد وضعت دراسات عن الحياة الاقتصادية أو جانب منها لفترة أو لقطر، كما وضعت دراسات عن موضوعات اقتصادية معينة كالضرائب وملكية الأراضي والتجارة وظهور الإقطاع والنقد. كما درس بعضهم الحياة الاجتماعية / الاقتصادية لبعض المدن. إن أهمية النواحي الاقتصادية والمالية بذاتها أو في تفسير بعض التطورات توضح الاهتمام بهذا الجانب.

وتشكل الحركات الاجتماعية محور بعض الدراسات، فهي لم تعد تنسب لقابليات قيادات فردية بل درست في ضوء التطورات الاجتماعية الاقتصادية. وهكذا ألقيت أضواء جديدة على حركة الإسماعيلية والقرامطة وعلى الدعوة العباسية وعلى حركات الفتوة. وهذا الخط من الدراسة يتصل بنظرة تزداد قوة وهي أن دور الشعوب في التاريخ يجب أن يعطى حقه من العناية إلى جانب دور الأمراء والخلفاء.

بعد هذا يلاحظ قلة عدد الذين حاولوا أن يتناولوا التاريخ العربي الإسلامي بنظرة شاملة

أو متكاملة فـي دراسة فترة أو فترات من التاريخ العربي ليروا التيارات والاتجاهات الرئيس يةوراء الحوادث والتطورات، أو ليبرزوا تفاعل الجوانب السيا س ية والثقافية والاجتماعيةوالاقتصادية. ومثل هذا النهج في الدراسة يعطر صورة كلية للتاريخ.

ومن جهة أخرى لم يقدم المؤرخون العرب مفهوما شاملا أو نظرة كلية لتاريخهم ولميتواصلوا إلى تكوين فلسفة أو فكرة تاريخية لهذا التاريخ. وهنا يرد السؤال - هل تتكونمثل هذ ه الفكر ة أو النظرة من دراسة التاريخ ذاته أو من ن ظرية أو فكر ة خارجية؟ - قدتختلف الاجتهادات هنا ، ولكنها لا تختلف في أن هذه الثغرة من أسباب الدعوة إلى(إعادة) كتابة التاريخ العربي.

وهناك نقطة أخرى تتصل بهذه ولها أهميتها - ذلك أنه لا توجد خطوط لتقسيم التاريخالعربي الإسلامي إلى فترات واضحة المعالم. هل نأخذ بالتقسيم إلى تاريخ قديم ينتهيبسقوط روما ووسيط ينتهي بالاكتشافات الجغرافية ، ثم حديث بعدها... الخ ، أيبتقسيمات التاريخ الأوروبي كما هو الشائع في الفترة الحديثة، أم ننظر إلى طبيعةهذاالتاريخ ونحاول أن نرسم الخطط في ضو ءها، فنشير إلى ظهور الإسلام نهاية للعصورالقديمة مثلا وإلى دخول البلاد العربية في إطار الدولة العثمانية كمؤشر، والغزو الغربيالحديث نهاية مرحلة وهكذا.. ثم نتبعها بخطوط فرعية؟ وعلى أي أساس نرسمالخطوط - هل هي الأحداث السياسية الكبرى، أو التحولات البشرية والاقتصادية، أوغير ذلك؟ قد أكون ممن يرون اتخاذ مؤشرات أكثر دوام ا ودلالة من التغييرات السياسيةمثل العوامل البشرية والتحولات الاقتصادية والتطور الاجتماعي.

وبعد هذا يلاحظ أن التاريخ الإسلامي يدرس من معزولا عن التاريخ العالمي، وقد يدعوبعضهم - لأسباب مفهومة - إلى بيان أثر الحضارة الإسلامية في الحضارة الغربيةالحديثة. والمفروض إذا أردنا أن نعرف موقع التاريخ الإسلامي في تاريخ البشر ية ودوره فيالحضارة الإنسانية ومنزلته أن ندرس الأوضاع الدولية والحضارية التي سبقت قيام الإسلاموالأو ضا ع والظروف الموازية في تاريخ البشرية - لفترات التاريخ الإسلامي.

- إن النظرة إلى المصادر لا تزال مشكلة في الفترة الحديثة. ذلك أن جل الكتابفي التاريخ يقصرون مصادرهم على كتب التاريخ في إطار الحوليات وتواريخ الدول ويضافإليها كتب التراجم والسير أحيانا. هذه نظرة محدودة تتطلب اتجاها أرحب وأكثرتفهّماً

لكتب التراث،وتقديرا أشمل للمصادر الرئيسية لدراسة التاريخ. فإذا تذكرنا، أن الكتابةفي موضوعات تاريخية لم تقتصر على من نسميهم المؤرخين بل شارك فيها الأدباءالمحدثون والفقهاء واللغويون والنسابون، أدركنا أن مختلف جوانب التراث تهمنا ، وانكتب الفقه وكتب الفتاوى، وكتب الجغرافية، والرحلات والأنساب ودواوين الشعر وال كتبالفنية والمهنية وكتب الأدب عامة هي مصادر هامة - وهي بين إغفال كلي وبين إفادةمحدودة من قبل الباحثين.

وعند الحديث عن المصادر التاريخية تجدر ملاحظة ناحية مهمة هي أن جل هذهالمصادر لم تُحَقَّقْ، وهذا يقلل من قيمتها وقد يربك البحث. والحاجة هنا ملحة إلى أن يركز الاهتمام على التحقيق والنشر، وان تلتفت دوائر التاريخ إلى إعداد من يقوم بذلك. ولا بد أن نؤكد هنا على أهمية الاستناد إلى المصادر الأولية في البحث التاريخي وإلى الإحاطة بها ، وإلى مقارنة الروايات ونقدها وتقييمها، وأن لا يكون الأسلوب انتقائيا أوتلخيصيا سرديا.

ومن ناحية ثانية فان منهج البحث يتطلب فهم المصادر وتقييمها. وهذا يدعو إلىدراسات عن الكتابة التاريخية عند العرب أو تأريخ التاريخ ليمكن التعامل معها والإفادةالتحليلية من رواياتها. وقد ترجمت بعض الكتب والمقالات ابتداء على قلتها. ثم وضعتبعض الدراسات في العربية، بين دراسات عن علم التاريخ عند العرب عامة وبين دراساتعن مؤرخي قطر أو بلد أو عن مؤرخ بعينه. ويمكن هنا الإشارة إلى السخاوي– الإعلانبالتوبيخ - بين كتب التراث. ولكن هذا المنهج في الدراسات الحديثة جديد تماما، ولميستقر هذا الحقل من الدراسة بعد.

وفي خلال العقدين الأخيرين وجه الاهتمام إلى الوثائق كمصدر للكتابة التاريخية. لقدظهر اهتمام متزايد باستعمال وثائق المحاكم الشرعية ،وكان مركزيا في التاريخ الاجتماعي /الاقتصادي والثقافي. وذهب بعض الناس إلى الإفادة من وثائق الوقف . وهناك الوثائقالحكومية. فالوثائق المصرية من عصر محمد علي درست في فترة سابقة. ويمكنالإشارة إلى الوثائق التونسية والمغربية ووثائق أخرى أفاد منها بعض الباحثين. ورجع بعضالباحثين (خاصة في الرسائل الجامعية) إلى الوثائق الغربية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين مما له علاقة بتاريخ البلاد العربية.

ولكن الوثائق العثمانية، على أهميتها الكبيرة ، لم يفد منها إلا قليلا في بعض الأبحاثالجامعية ، وذلك بسبب لغتها ابتداء.

وتبقى المواد الآثارية ، على أهميتها ا لكبيرة في الدراسة التاريخية ، قليلة الأثر في الثقافةالتاريخية. و يمكنإيراد أمثلة واضحة لجوانب منها لها أهمية كبيرة مثل النقود ، والنسيجوالطراز ، وخطط المدن (وهذه أكثر فائدة منها بدرجة محدودة) والكتابات والنقوش علىالأحجار والأبنية،وتخطيط الدور.

ويتصل بالفكرة والمنهج النظرة إلى صلة التاريخ بالحاضر، وهنا تلاحظ اتجاهاتثلاثة:

الأول - ويرى أصحابه ضرورة تجاوز التاريخ ، وان لا جدوى من العودة للتراث وانالمجتمع يجب أن يقوم على أسس حديثة مأخوذة من أنظمة جديدة في العالمالحديث (الاشتراكية الليبرالية، الماركسية).

الثاني - وهناك فئة ترى أن النهضة والقوة يمكن الوصول إليهما بالعودة إلى التاريخوالتراث.

الثالث - تمثله فئة تسعى إلى شئ من التوازن بين الأصالة والمعاصرة. وهي ترى أن التقدم يمكن أن يحصل بالاستناد إلى التراث بعد أن تبث فيه حياة جديدة ، مع الإفادة من منجزات الحاضر ليمكن مواجهة مشاكل المجتمع [45].

وفي خلال العقدين الأخيرين تقلصت المجموعة الأولى،وتوسعت الثانية ، بينما تجدالثالثة نفسها في وضع قلق وغير واضح.

وتدور المناقشة حول نقطة محورية - هل التاريخ بتأثيره الكبير على الناس عون لحركةالتقدم وحافز عليه أم أنه عب، وعائق للحركة؟ - يرى البعض بأن الإعراض عن التاريخ لايساعد على التخلص من آثاره السلبية، فما دمنا نحمله في اللاشعور دون تمييز وتقييمفانا نبقى نجر قيودا عديدة من مفاهيم تثقل ورواسب تعطل. وفي التاريخ بمفهومه العلميالصحيح علاج لهذه الأدواء لأنه يلعب بالنسبة لنفسيات الأمم والجماعات الدور الذي
يلعبه التحليل النفسي للأفراد.

تأثرت دراسة التاريخ في الماضي في الفكرة والأسلوب بحقول أخرى للثقافة (مثل

دراسة الحديث والدراسات الأدبية). وكان للتاريخ بدوره أثره في عدة من حقول المعرفة.

ومع أن بعض المؤرخين حاولوا تمييزه كعلم بذاته (مثل المسعودي ومسكويه وابن خلدون) فانه بقي في الغالب متداخلا مع فروع أخرى من الثقافة. ولعل اشتراك غيره منالدراسات معه في مادته، ومفهوم الأدب، إضافة إلى أثر العلوم الإسلامية، مسؤولة عن ذلك.
وكان الاتجاه العام في الفترة الحديثة إلى اعتبار التاريخ نوعا بذاته، وفي العادة معزولاعن حقول المعرفة الأخرى. ولكن هل بإمكان المؤرخين أن يبتعدوا عن العلوم الاجتماعيةالأخرى؟ وهل يستطيع المؤرخون إغفال الدراسات التراثية التي يقوم بها مختصونالاقتصاد والتربية والاجتماع. ومناهج بحثهم فيها؟ وإذا كان المؤرخون يدرسون التاريخالاجتماعي والاقتصادي والفكري فهل يستطيعون ذلك دون صلة بالعلوم الأخرى وتعرفعلى مناهجها في البحث؟ هذا إلى أن النقد يوجه الآن إلى أولئك الذين يكتبون التاريخويهملون حقولا وثيقة الصلة تراثيا به مثل الأدب العربي والجغرافية.
وهناك مشكلة أخرى في المنهج. وهي أن كتابة التاريخ العربي / الإسلامي الآن تأتيفي مجالات مختلفة، فهناك من يدرسه في مجال الدراسات الدينية وقد يراه متصلابالعقيدة ، وهناك من يدرسه في نطاق الأدب، هذا إضافة إلى من يدرسه في مجالالدراسات التاريخية وفق منهج أو بدونه ، ولكل من هذه الجهات الثلاثة أسلوبه ووجهته.
وهذا يسبب الكثير من البلبلة ويؤدي إلى اضطراب في المنهج إن لم يكن غيابه أحيانا.
وبعد هذا تجدر الإشارة إلى نقطة أخيرة في المنهج هي أن مناهج البحث في التاريخالغربي يمكن أن تغني أسلوب البحث في التاريخ العربي ولكن تبقى نقطة أساسية هي أنناحاجة إلى أن نفهم طبيعة مصادرنا التاريخية وأن نقوّم رواياتها ومصادرها، وهذا يتطلبمنا أن نطور هذا الجانب الحيوي في المنهج وأن نعطيه أهمية في دراسة التاريخ.

لقد آن لنا أن نوضح المنهج التاريخي في البحث وأن نركزه في الكتابة وأن نعممهنستطيع وضع تاريخ موضوعي منفتح على فروع المعرفة الأخرى ولكنه مستقل بذاته وبمنهجه.

1- المسعودي- مروج الذهب. تحقيق باربييه دميزار وبافيه دكورتي 9ج باريس 1861 - 1877، وطبع بالاوفست طهران 1970 ج 3، ص 135 - 136

2- انظر:

- فرانز روزنتال - علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلي ط 2مؤسسة الرسالة، بيروت 1983.

- Gibb, H.A.R. – Tarikh. E.1.Supplement, Leiden 1938

- شاكر مصطفي- التاريخ العربي والمؤرخون2ج، دار العلم للملايين بيروت1978 - 1979؛ يوسف هوروفتس - المغازي الأولى ومؤلفوها، تعريب حسيننصار، مصطفي البابي الحلبي، القاهرة 1949؛ الدوري، ع - بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، بيروت 1960.

- Mahdi, M. – Ibn Khaldun', Philosophy of History. London, G. Allen and Unwin 1957

- Khalidi, T. – Islamic Historiography, The Histories of Masudi, State University of New York Press, Albany 1975.

3 - سبط ابن الجوزي- مرآة الزما نفي تاريخ الأعيان ج 1 تحقيق إحسان عباس دارالشروق بيروت 1985 ص 529، ص 536

4 - ابن عذارىالمراكشي - المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج 1 تحقيق ج . س كولان وأ . ليفي بروفنسال، ط 2 دار الثقافة، بيروت1980، ص 2

6 – التنوخي، القاضي أبو على المحسن بن علي، كتاب الفرج بعد الشدة، تحقيقعبود الشالجي 5 أجزاء، دار صادر بيروت 1975 – 1978، ج 1ص 52-54.

7 - استعرض المسعودي عددا من كتب التاريخ والإخباروأبدى رأيه في بعضها، مروجالذهب ج ا ص 10-21.

8 - المقريزي- كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخططوالآثار 2ج بولاق1270،مكتبة المثنى بالاوفست 4/1

9 - ياقوت الحموي- معج .م البلدان، 5ج دار صادر بيروت 1979 – 1984، 11/1 - 12

10-المسعودي - مروج الذهب، 1/16-17وانظر: الصولي - أخبار الراضي والمتقي لله، تحقيق ج. هيورث دن، القاهرة1935، ص 18

11- روزنتال، فرانز- علم التاريخ ع ند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلى، ط 2،مؤسسة الرسالة، بيروت 1983، ص 551.

12- قاعدة في الجرح والعديل، وقاعدة في المؤرخين، للامام تاج الدين أبي نصر عبدالوهاب بن تقي الدين علي السبكي، حققه عبد الفتاح أبو غدة ط 2، دار الوعيحلب 1978 ص 71-72

انظر : الصفدي،صلاح الدين خليل بن أبيك كتاب الوافي بالوفيات ج1، باعتناءهلموت ريتر، بيروت 1981 (النشريات الإسلامية 1/6)، ص 46؛ روزنتال ص500 ويقول السخاوي: «وأماشرط المعتنى به فالعدالة مع الضبط التام الناشئ عن مزيد الإتقان والتحري». روزنتال ص 482.

13- الصفدي - كتاب الوافي بالوفيات ج 1 ص 46

14- ياقوت - معجم البلدان، ج1

ص 11 - 12 وفي معجم الأدباء، نشر أحمد فريد الرفاعي، مكتبة البابي الحلبي،الطبعة الأخيرة، 20ج، القاهرة 1936-1938، ج 1ص49يقول ياقوت«أثبت مواضع نقلي ومواط ن أخذي من كتب العلماء المعمول عليهم في هذاالشأن والمرجوع في صحة النقل إليهم».

15- المقريزي- الخطط ج 1 ص 4

16- الصولي - أخبار الراضي والمتقي لله ص 18

17- الطبري- تاريخ الر سل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارفبمصر ج1(1960) ص 7-8

18- ياقوت - معجم البلدان، ج1ص 12-13.

19- 1لجاحظ – رسائل، تحقيق عبد السلام م حمد هارون، الجزءالأول، مكتبةالخانجي، القاهرة 1964، رسالة المعاش والمعاد، ص 119-120.

20- روزنتال - علم التاريخ ، ص 466- 467

21- المسعودي- مروج الذهب، ج1 ص 1-7.

22- التنوخي- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي،8ج، دارصادر بيروت، 1971-1973 ، ص 1-7.

23- يقول أبو الفرج الأصفهاني- في الأغانيج1، دار الثقافة بيروت 1374 / 1955:"إنالقارئإذا تأمل ما فيه من الفقر ونحوها لم يزل مستقلا بها من فاتحة إلى منتهاومتصرفا فيها بين جد وهزل وآثار وأخبار وسير وأشعار متصلة بأيام العرب المشهورةوأخبارها المأثورة وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الإسلام". ج1 ص 14.

24- مسكويه - تجارب الأمم،ج 1،باعتناء دي خوية، لندن1909ص. 30

25- ابن الأثير- الكامل في التاريخ ج ا، ص 7

26- المسعودي- مروج الذهب،ج 3ص 135 - 136.

27- السخاوي- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، في روزنتال - علم التاريخ ص400-401.

28- عماد الدين خليل - التفسير الإسلامي للتاريخ ط 2، بغداد 1978ص 66.

29- نفس المرجع ص 14.

31- محمد بن صامل العلياني السلمي- م نهج كتابة التاريخ الإسلامي حتى نهاية القر ن الثالث الهجري. (رسالة ماجستير، جامعةأم القرى 1984) ص150.

32- نفس المرجع 78، ص 122-123.

33- نفس المرجع ص 73.

34- انظر قسطنطين زريق - نحن والتاريخ ط 4، دار العلم للملاين بيروت 1979،اذ يقول «لقد كان تجاهلنا لتاريخنا من اعظم العوامل في نهضتنا الحديثة،ومن بزوغفجرها في القرنالماضي» ص 17، ويقول «اننا نعود للماضي من خلالاهتمامات الحا ضر وآمال المستقبل ص 161، وانظر ص 201.

35- انظر المستقبل العربي 5/1979ندوة "نحو رؤية جديدة لتاريخ العرب الحديث " ص 188-189و ص 188 – 189 و ص 169 – 170، وانظر زريق ص 18-19 ص29 ، ص 29 وما بعدها.

قوانين الإنتاج وقوانين تطور القوة المنتجة وعلاقات الإنتاج». تاريخ لبنان الاجتماعي 1914-1956 بيروت 1974ص13

44- انظر، جورج حداد- مؤلفات المؤرخين العرب في غير التاريخ العربي، في كتاب: ما ساهم به المؤرخون العرب في المائة سنة الأخيرة، في دراسة التاريخ العربي وغيره، الجامعة الأمريكية بيروت 1959، ص 1-24.

45- انظر كتاب المؤتمر الثقافي العربي الثالث (18-28 نوفمبر 1957) القاهرة 1958 ص134

46- محمد الطالبي- التاريخ ومشاكل اليوم والغد ص 38